

إيثار حروف الجر
بعضها على بعض في
لغة
القران الكريم

د. سعدون خلف عبد

كلية التربية للبنات – جامعة الأنبار



المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على رسول الله الذي أنزل عليه القرآن، فكان وما زال وسيبقى معجزة الله الخالدة التي لا تأفل شمسها ولا تخلق على كثرة الرد، متلوة بالألسن محفوظة في القلوب محسوسة بالوجدان.

لذا كان القرآن الكريم معقد اهتمام الدارسين للكشف عن مناحي إعجازه في مختلف الفنون، للوقوف على سره الكامن ووجهه المعجز. أسرارها لا تنقطع وعجائبه لا تنقضي، وما زال يعطيك من سره كلما تلطفت بالوقوف عليه، فكل من منحه ساعة من وقته أكرمه بذخيرة من جوهره.

وكل جيل يقف على سر جديد فيه في مختلف مناحي الحياة، وستجد فيه الأجيال مالم يخطر لنا فيه على بال، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وحاول العلماء الوقوف على أسرار هذا السفر القادم من السماء، ومن مجالات أسرار إعجازه في نظمه، إذ إنه "أورد كل لفظة في مكانها المناسب ببراعة مذهلة وفائقة، والتزم الدقة في مراعاة دلالة الألفاظ وإيرادها بطريقة تعجز عنها الخلائق" (١).

ومن مناحي نظمه وضعه حروف الجر في المكان اللائق بها، وهو باب يسلط فيه النظر على المبنى والمعنى، ومن ثمّ تنقدح الحقائق للناظر فيه بعد تأمل، ونفاذ في بواطن المسائل، متجاوزاً الظواهر المكشوفة إلى الخفايا المستترة (٢).

وقبل الدخول في الموضوع لابد من الإشارة إلى مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين، فقد ذهب الكوفيون ومن وافقهم من البصريين (٣) إلى أنّ حروف الجر قد ينوب بعضها عن بعض، فمثلاً قد تأتي الباء بمعنى (على) كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: الآية ٧٥] أي: على قنطار، وتأتي بمعنى (عن) نحو قوله سبحانه: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: الآية ١] أي: عن عذاب، وتأتي (من) بمعنى (على) كقوله ﷻ: ﴿وَنَصَرْنَا مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ [الأنبياء: الآية ٧٧] أي: على القوم، وتأتي بمعنى (عن) كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ [آية ٢٢] أي: عن هذا (٤).



"ومذهب جمهور البصريين أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس، كما أن أحرف الجزم والنصب كذلك، وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلاً يقبله اللفظ .. وإما على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف، كما ضمن بعضهم... (أحسن) في ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف: الآية ١٠٠] معنى (لَطْفَ)، وإما على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى" (٥).

والترخّص في الأخذ بمذهب الكوفيين هو عدول عن المعاني الظاهرة المقصودة إلى معانٍ مضمرة غير مقصودة (٦) "إذ الأصل في كل حرف ان لا يدل إلا على ما وُضع له، ولا يدل على معنى حرف آخر" (٧).

وقد نبّه الزجاج إلى خطأ القول بأن (إلى) بمعنى (مع) في قوله تعالى على - لسان عيسى عليه السلام -: ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: الآية ٥٢] وإنما الحرفان قد تقاربا في الفائدة فيظن الضعيف العلم باللغة أن معانها واحد (٨).

وقد نعى الزمخشري على الذين أهملوا النظر في تتبع الفروق بين حروف المعاني في الكتاب العزيز فقال: "فإن قلت: ﴿يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمًّى﴾ [فاطر: الآية ٣] والزم: الآية ٥] و﴿يَجْرِي إِلَى أَجْلِ مُسَمًّى﴾ [لقمان: الآية ٢٩] أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت: كلا، لا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن، ولكن المعنيين - اعني الانتهاء والاختصاص - كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض، لأن قولك: ﴿يَجْرِي إِلَى أَجْلِ مُسَمًّى﴾، معناه: يبلغه وينتهي إليه، وقولك: ﴿يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمًّى﴾، تريد يجري لإدراك أجل مسمى، تجعل الجري مختصاً بإدراك أجل مسمى" (٩).

وكذلك نعى ابن جني على الذين يطردون الباب في تعاقب الحروف، وعنده ان القول بذلك ساذج من الصنعة بعيد عن الصواب، نعم، قد يكون الحرف بمعنى الحرف الآخر في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له، أما في كل موضع وعلى كل حال فلا، وان لم يكن هناك مسوغة يلجأ فيه إلى التضمين (١٠).

وفي هذا قال ابن القيم: "وظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر، وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال، فيُشربون



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



الفعل المتعدي به معناه. هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه -رحمه الله تعالى- وطريقة حذاق أصحابه، يضمنون الفعل معنى الفعل، لا يقيمون الحرف مقام الحرف، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار، تستدعي فطنة ولطافة في الذهن^(١١).

والتضمين في النحو واللغة هو "إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه"^(١٢)، أو "أن تقصد بلفظ فعل معناه الحقيقي ويلاحظ معه معنى فعل آخر يناسبه ويدل عليه بذكر شيء من متعلقاته"^(١٣). ولا اختصاص للتضمين بالفعل بل يجري في الاسم أيضاً^(١٤).

والغرض من التضمين هو التوسع في المعنى مع الإيجاز، وذلك بإعطاء مجموع معنيين، المعنى الحقيقي للفظ والمعنى المضمّن، قال الزمخشري في الفعل (عدا) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: الآية ٢٨]: "إنما عدي بـ(عن) لتضمين (عدا) معنى (نبا وعلا) في قولك: نبت عنه عينه، وعلت عنه عينه، إذا اقتحمته ولم تعلق به، فإن قلت: أي غرض في هذا التضمين؟ وهلا قيل: ولا تعدهم عينك، أو: ولا تعلق عينك عنهم؟ قلت: الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ، ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عينك مجاوزتين إلى غيرهم؟ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: الآية ٢] أي: لا تضموها إليها آكلين لها"^(١٥). ولا يعدل عن هذا الأصل إلا بقريئة^(١٦). وهو من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز.

وحمل بعض القدماء والمحدثين القول بالتضمين على الحيرة والاضطراب^(١٧) كما أن الترخص بالقول بتناوب حروف الجر سيؤدي إلى ضرب من العجمة وعدم البيان والى فوضى في التعبير لا حد لها^(١٨).

لذا فإن هذا البحث لا يأخذ بالتضمين، ولا يأخذ بتناوب حروف الجر أيضاً للغة التي ذكرناها، وإنما ينظر إلى أن لكل حرف معناه الذي وضع له في اللغة كما مر بنا، لأن التراكيب اللغوية يختلف معناها باختلاف حروف الجر الداخلة فيها، فمثلاً الفعل (خرج) يتعدى بعدة حروف، فنقول: خرج من الشدة، أي خلص منها، وخرج على السلطان، أي تمرد عليه وثار، وخرج في العلم والصناعة، أي نبغ فيهما^(١٩).



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



وكذلك الفعل (رَغِبَ) يتعدى بـ(في وعن والى والباء)^(٢٠)، فتقول: رغبتُ في الشيء إذا أردته، ورغبتُ عن الشيء إذا لم ترده وزهدت فيه^(٢١). ورغبتُ إليه في كذا إذا سألته إياه، ورغبت بنفسي عن الشيء إذا ترفعت عنه^(٢٢).

وأيضاح ذلك أن (رغبت في الشيء) أفاد معنى (أردته)، لأن (في) تدل على الظرفية^(٢٣) فكان الرغبة صارت مظلوماً والشيء ظرف لها، و(رغبت عنه) أفاد عدم إرادته، لأن (عن) تفيد المجاوزة عن الشيء والانحراف عنه^(٢٤)، وهكذا يقال في المسائل الأخرى، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

فلاحظ ان الفعل في كل مجموعة واحد، وتتجدد له دلالة مع كل حرف يتعدى به، وهذه المعاني نابعة من الدلالات التي تفيدها حروف الجر من خلال تركيبها مع ذلك الفعل، لا من الفعل وحده.

فعلى هذا، يكون لحروف الجر دور بارز في الكشف عن دقائق المعاني من خلال التراكيب، وتعلق الكلام بعضه ببعض، فتتولد دلالات مختلفة باختلاف الحروف الداخلة في التركيب.

لذلك فإن العلماء لمسوا دقة تلك الألفاظ ووضعوها في المكان المناسب لها. فرأوا يعللون اختيارها وإيثارها على غيرها بحسبهم اللغوي، لإفادة المعاني المرادة، ساعين من خلال ذلك إلى إظهار جمال التعبير القرآني في استعمال تلك الحروف، " إذ كل عدول من تعبير إلى تعبير لابد أن يصحبه عدول من معنى إلى معنى، فالأوجه التعبيرية المتعددة إنما هي صور لأوجه معنوية متعددة"^(٢٥).

ومن هنا، كانت دراسة أية جزئية من جزئيات لغة القرآن الكريم، تُعد كشفاً عن سِمة من سمات إعجازه.

وفيما يأتي أمثلة من ذلك مرتبة في ورودها على حروف المعجم:

١. إيثار الباء.

أ. إيثار (الباء) على (إلى).

من ذلك ما جاء في قوله تعالى -على لسان يوسف عليه السلام-: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف: الآية ١٠٠].

ذهب جمع من علماء العربية إلى أن الباء في الآية الكريمة بمعنى (إلى)، أي: أحسنَ إليّ^(٢٦). وذهب آخرون إلى تضمين (أحسن) معنى (لطف) أي: لطف بي^(٢٧).



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



والراجع أن المسألة ليست من باب تناوب الحروف، ولا من باب التضمن، وإنما جاءت الباء على بابها في إفادة معنى الإلصاق، وهو معنى لا يفارقها، لذا اقتصر عليه سيبويه^(٢٨).

وذكر الزمخشري أنّ (أحسن) يتعدى بالي وبالباء، ولكنه لم يذكر الفرق بينهما^(٢٩).

كما ذكر أبو حيان، أنّ الأصل في هذا الفعل أن يتعدى بالي، وقد يتعدى بالباء نحو قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: الآية ٢٣] كما يقال: أساء إليه وبه^(٣٠).

وذكر الآلوسي مع هذه الآراء رأياً آخر، هو أن المفعول محذوف، أي: أحسن صنعه بي، وعلى هذا فإن الباء متعلقة بالمفعول المحذوف، ولكن فيه حذف المصدر وإبقاء معموله، وهو ممنوع عند البصريين^(٣١).

وكان الزركشي أقربهم إلى إدراك معنى الباء هنا، إذ ذكر " أنه يقال: أحسن بي والي، وهي مختلفة المعاني، وأليقها بيوسف عليه السلام (بي)، لأنه إحسان درج فيه دون أن يقصد الغاية التي صار إليها"^(٣٢). لأن التعبير القرآني هو بصدد ذكر بعض ممن الله التي وضعها به، بدليل تنمة الآية بعد ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾.

وقد وقف الدكتور فاضل السامرائي طويلاً، عند الفرق في المعنى، بين تعديّة (أحسن) بالي وتعديته بالباء، فقال: " ثمة فرق بين (أحسن إليه) و(أحسن به)، فإن معنى (أحسن إليه) قدّم إليه إحساناً أو صنع له إحساناً، أما (أحسن به) فمعناه: وضع إحسانه به، ومن ذلك أنك تقول: أحسنت بهذا الأمر وأحسنت بعملك، أي: ألصقت إحسانك بعملك ووضعت به، ولا تقول: أحسنت إلى عملك ولا: أحسنت إلى هذا الأمر، إلا على معنى آخر، وهو أنك قدمت إليه إحساناً، وهو معنى مجازي.

فإن الإحسان في (أحسن به) ألصق، إذ إن فيه معنى الرعاية واللفظ، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: الآية ٧٧]، وقال على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف: الآية ١٠٠]، ففي الثانية إحسان خاص يختلف عن الأول، فإن الآية الأولى في عموم الخلق، وإحسان الله إلى الخلق إحسان عام يشترك فيه سيدنا يوسف وبقية الخلق. أما قوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ فإن



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



فيه إحساناً خاصاً أُلصق من الأول، إذ أخرجته من السجن وبيّأه مكانة عالية، وجاء إليه بأهله، وما إلى ذلك من العناية الربانية واللفظ^(٣٣).

لذا فإن التعبير القرآني آثر تعديّة (أحسن) بالباء على تعديته بإلى، لأنه لم يقصد الغاية التي صار إليها يوسف عليه السلام، كما أن اللفظ الذي قال به المضمنون يمكن أن يتأتى من باء الإلصاق، لأنك عندما تلصق إحسانك بآخر وتجعله متلبساً به فانك لطفت به، وهذا تحصيل حاصل، فلا حاجة إلى اللجوء إلى التضمنين، والله اعلم.

ب. إيثار الباء على (في).

مثال ذلك ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم في حكاية نوح عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: الآيتان ٦٠-٦١].

نلاحظ أن السياق القرآني خالف بين مقولة قوم نوح باستخدام (في) ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، وبين رده عليهم بإيثار حرف الباء ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾، ولم يقل: (لست في ضلال أو ليس في ضلال) ليطابق قوله مقولتهم.

وفي هذا السياق القرآني نلاحظ أن جواب نوح عليه السلام فيه إيثاران، الأول: إيثار نحوي، متمثل بإيثار (الباء) على (في)، والثاني: إيثار صرفي، متمثل بإيثار اسم المرة (ضلالة) على المصدر (ضلال).

والعلة في هذا - والله اعلم - إن استعمالهم (في) الدالة على الظرفية^(٣٤)، يعنون أن الضلال - حاشاه - أصبح وعاء وظرفاً له منغمساً فيه، يحيط به من كل جانب وهو مظروف له، أرادوا أنه متمكن في الضلال غير منفك عنه، لذا ناسب مجيء جوابه المنفي بالباء - الدالة على الإلصاق - إيثاراً على (في)، إمعاناً في نفي اقترابه من الضلال ولصوق أدنى ضلالة به، فضلاً عن انغماسه في الضلال أصلاً، وهذا يؤكد مجيء اسم المرة (ضلالة) ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾^(٣٥)، قال الزمخشري: " فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قَالَ: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ ولم يقل (ضلال) كما قالوا؟ قلت: (الضلالة) أخص من (الضلال)، فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه، كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال، كما لو قيل لك: ألك تمر؟ فقلت ما لي تمر؟"^(٣٦).



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



وفي هذا قال الألوسي: " إنه عليه السلام في قوله ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ نفى للضلال عن نفسه الكريمة على أبلغ وجه، فإن (التاء) للمرة، لأن مقام المبالغة في الجواب لقولهم الأحق يقتضي ذلك، والوحدة المستفادة منه باعتبار أقل ما ينطق، فيرجع حاصل المعنى: ليس بي أقل قليل من الضلال فضلاً عن الضلال المبين ... وفي (المثل السائر): الأسماء المفردة الواقعة على الجنس التي تكون بينها وبين واحدتها تاء التانيث، متى أريد النفي كان استعمال واحدتها ابلغ، ومتى أريد الإثبات كان استعمالها أبلغ كما في هذه الآية ... وإنما بالغ - عليهم السلام - في النفي لمبالغتهم في الإثبات، حيث جعلوه - وحاشاه - مستقراً في الضلال الواضح^(٣٧). ومبالغتهم تتمثل بمجيء ثلاثة مؤكدات على كونه - حاشاه - منغمساً في الضلال هي: (إن) ولام التوكيد والمجيء بالصفة (مبين)، لذا فإن مبالغته في نفي الضلال عنه كانت مناسبة ولائقة جداً بمقولتهم تلك.

وهذا الإيثار - أعني إيثار (باء) الإلصاق على (في) الظرفية - واسم المرة، ورد في القرآن الكريم في سياق خطاب قوم هود لنبيهم عليه السلام في نفي أي داع يدعو إليه الشك منهم ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٦٦] فجاء رده عليهم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٦٧].

ومن نافلة القول أن أورد ما ذكره الزمخشري في هذا الميدان بقوله: " وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفاهة، بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة، بما قالوا لهم - مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفهم - أدب حسن وخلق عظيم، وحكاية الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء، وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم^(٣٨).

ج. إيثار (الباء) على (من).

مثال هذا الإيثار ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: الآيتان ٥ - ٦].



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



نلاحظ أن الفعل (يشرب) عدي بـ(من) أولاً فقال: ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾، ثم أثر السياق القرآني تعديته بالباء ثانياً فقال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾ ولم يقل (عيناً يشرب منها) كما قال أولاً ليتشاكل السياق على نمط واحد.

ولعلماء العربية أقوال في هذه المسألة، فقد قيل إن الباء بمعنى (من) التبعية، أي يشرب منها، واثبت لها هذا المعنى الأصمعي وابن قتيبة وأبو علي الفارسي وابن مالك ونُقل عن الكوفيين^(٣٩)، واستدلوا على ذلك بهذه الآية الكريمة، ويقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: الآية ٢٨].

وقيل: إن الباء زائدة في الآيتين، والمعنى: يشربها عباد الله ويشربها المقربون^(٤٠)، قال الفراء: " يشرب بها ويشربها سواء في المعنى"^(٤١)، واستدلوا على زيادتها بقراءة ابن أبي عبلة: (يشربها)^(٤٢).

وذهب قسم من علماء العربية إلى القول بالتضمن، قال ابن قيم الجوزية: " ... فإنهم يضمنون (يشرب) معنى (يروى)، فيعدونه بالباء التي تطلبها، فيكون في ذلك دليل على الفعلين، أحدهما بالتصريح به والثاني بالتضمن، والإشارة إليه بالحرف الذي يقتضيه مع غاية الاختصار، وهذا من بديع اللغة ومحاسنها وكمالها ... وهذا أحسن من أن يقال: (يشرب منها) فإنه لا دلالة فيه على الري، وان يقال: (يروى بها) لأنه لا يدل على الشرب بصريحه بل باللزوم. فإذا قال: (يشرب بها) دل على الشرب بصريحه وعلى الري، بخلاف الباء فتأمله"^(٤٣).

ولا يسلم لابن القيم قوله: إن عبارة (يشرب منها) لا دلالة فيها على الري، لأنه ﷺ وصف الأبرار بقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ فعدى فعل الشرب بـ(من)، فضلاً عن أن الشرب في الجنان لا يكون لغرض الارتواء، لأنه لا ظماً فيها، إذ يقول المولى ﷺ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ [طه: الآيات ١١٨ - ١١٩]، لأن الشرب فيها ضرب من النعيم المقيم^(٤٤).

وبعد ان ذكر الزركشي ان التضمن هو من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز، ذكر قولاً آخر هو أن لا مجاز في الآية الكريمة أصلاً، بل إن التعبير جاء على حقيقته لأن "العين هاهنا إشارة إلى المكان الذي ينبع، منه الماء، لا إلى الماء نفسه، نحو: نزلت بعين، فصار كقوله: مكاناً يُشرب منه"^(٤٥).



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



وعلى هذا المعنى، فالأظهر أن الباء هنا ليست بمعنى (من) وليست زائدة، كما أن الفعل ليس من باب التضمين، بل إن الباء جاءت على بابها في إفادة معنى الإلصاق المكاني، 'فقولك: يشربون بالعين، معناه أنهم يكونون بها، كما تقول: (أقمنا بالعين وأكلنا وشربنا بها)، أي هم قريبون من العين يشربون منها، بخلاف قولك: (يشربون منها)، فإنه ليس فيه نص على معنى القرب من العين، فقولك: أكلت من تفاح بستانك، لا يدل دلالة قاطعة على أنك كنت بالبستان، بل ربما حمل إليك.

فقوله: (يشرب بها) يدل على أنهم نازلون بالعين يشربون منها، فهو يدل على القرب والشرب. فالتمتع حاصل بلذتي النظر والشراب، بخلاف الأولى^(٤٦).

ويمكن ان يستفاد من معنى الإلصاق أيضاً أنها ملاصقة لأفواههم، وفيه مزيد مبالغة في وصف النعيم الذي هم حائلون فيه، فهم يشربون من عين يكاد يلصق ماؤها أفواههم من غير بذل أيّ عناء في الشرب، فكأن العين صارت وعاءً للماء، وفي مألوف الاستعمال اللغوي نقول: شربت بالكأس من العين، فتكون الكأس هي الأداة المشروب بها، فتدخل الباء على آلة الشرب، فعباد الله الخلص يشربون بالعين، فكأن العين صارت بمثابة الكأس لعباد الله، يشربون بها أيضاً ما هو أكبر من العين، وهو السعادة والسرور الأبديين.

وفي ذلك إمعان في نفي وجود أدنى عناء في التمتع بالنعيم في الجنة، على خلاف المعهود في متع الدنيا. وهذا نظير قوله تعالى في وصف سرر الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: الآية ٤٧]، ولم يقل: على سرر متجاورين، وذلك لينفي عنهم وجود أي عناء في أن يلتفت الأخ إلى أخيه^(٤٧).

ويؤيد هذا ما قاله المفسرون في تنمة الآية الكريمة: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾، أي يجرونها حيث شاءوا من منازلهم إجراء سهلاً لا يمتنع عليهم^(٤٨)، فهي قريبة من تناولهم كأنها ملاصقة لأفواههم.

وقد وقف الزمخشري على وجه المخالفة بين تعدية فعل (الشرب) بـ(من) أولاً وبالباء ثانياً فقال: 'فإن قلت: لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولاً وبحرف الإلصاق آخراً؟ قلت: لأن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته، وأما العين فبها يمزجون



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



شرابهم، فكأن المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعسل^(٤٩).

كما وقف الدكتور فاضل السامرائي على سر المخالفة في التعبير بإيثار (الباء) على (من) في الشربين، ولعل ما ذكره هو أقرب إلى دلالة السياق، إذ إن السياق الذي يتحدث عنه القرآن الكريم هو سياق نعيم، وهذه المخالفة فيه - كما قالوا - راجعة إلى المفارقة بين جزاء السعداء، إذ إن الآيتين تتحدثان عن صنفين من أهل الجنة، الأول: صنف الأبرار، والآخر سماهم (عباد الله)، وهم أعلى مرتبة ممن قبلهم، ويتفاضل الناس بمقدار هذه العبودية، فكلما كان الشخص أكمل في عبوديته هذه وأتم كان أقرب إلى سيده، وتطلق هذه الصفة - صفة العبودية - على أعلى الخلق وهم الأنبياء في مقام التشريف، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: الآية ١٩] وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: الآية ١] وقال: ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: الآية ٣].

من هذا يتبين أن مرتبة الذين سماهم (عباد الله) أعلى من مرتبة الأبرار. وقد فرّق بين النعيمين كما فرّق بين الصنفين، فقد وصف نعيم الأبرار بأنهم يشربون من كأس، وإن هذه الكأس ليست خالصة بل ممتزجة: ﴿كَانَ مِرْاجُهَا كَافُورًا﴾، وأما الصنف الآخر - وهم عباد الله - فهم لا يشربون من كأس يوتى بها، بل يشربون خالصة من العين، وهي مرتبة أعلى، لذا قال ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ ولم يقل (يشرب منها)، أي: يرتون بها. وفوق هذا فهم يتمتعون بلذة النظر وهم نازلون بالعين.

وهذا التعبير الذي مرّ نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خَتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِرْاجُهَا مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: الآيات ٢٢ - ٢٨].

فذكر صنفين من السعداء، صنف الأبرار وصنف السابقين المقربين، وهم أعلى الخلق، فالأبرار يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَمزُوجٍ بِالتَسْنِيمِ، والتسنييم أعلى شراب في الجنة، في حين قال في الصنف الآخر: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾، فالمقربون يشربون



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



من عين التسنيم خالصة، فإنهم كما أخلصوا أنفسهم وأعمالهم لله أخلص لهم الشراب، والجزاء من جنس العمل وهم لا يشربون منها، بل يشربون بها^(٥٠).
وفضلاً عما أفادته الباء من معنى القرب من العين والنزول بها، أو أن العين صارت بمثابة آلة شربهم ملاصقة لأفواههم فضلاً عن أبدانهم ملاصقة النعيم لصاحبه لا ينفك عنه بحال، فإن التعبير بها يتسع أيضاً لعباد الله الخالص أن الشرب بالعين ليس هو الغاية في النعيم، وإنما العين وسيلة موصلة إلى النعيم كما يشي بذلك النص الكريم.

وإن شئت فقدّر محذوفاً، وقل يشربون بها السعادة والنعيم المقيم الذي لا نظير له، لأن متع الدنيا ولذائذها غاية في حد ذاتها، فالشرب فيها هو لذات الشرب حتى يحصل الارتواء بعد ظماً قد حل، والشرب في الجنة ليس مقصوداً لذات الارتواء والسلامة من عطب أو هلاك وإنما هو نعيم مقيم^(٥١). والعين لا ينقص منها شيء بل هي في تفجير وازدياد. وكل ذلك في معرض الإيناس والتكريم وإعلان الفضل تارة والقرب من الله تارة أخرى^(٥٢).

٢. إيثار (على).

أ. إيثار (على) على (إلى).

مثل هذا الإيثار قوله ﷺ: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصفات: الآيات ٩١ - ٩٣].

نلاحظ أن الفعل (راغ) تعدى بـ(إلى) الدالة على الغاية^(٥٣)، أولاً وبـ(على) الدالة على الاستعلاء ثانياً^(٥٤)، ولم يأت السياق على وتيرة واحدة بأن يكون: (فراغ إلى آلهتهم ... فراغ إليهم ضرباً) أو (فراغ على آلهتهم ... فراغ عليهم ضرباً) ليطرّد السياق على نمط واحد.

ولابد لهذا الإيثار من مغزى. ويمكن تلمّس ذلك من خلال معرفة دلالة الفعل (راغ)، ففي اللسان أنك تقول: راغ فلان إلى فلان أي مال إليه سراً، ويكون ذلك بانحراف في استخفاء^(٥٥)، أي: إن إبراهيم عليه السلام تسلل إلى أصنامهم في خفاء، وكانت غايته الوصول إليها كما أفاده بذلك الحرف (إلى)، فمال مستعلياً عليها ضرباً كما يفهم من استخدام (على).



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



وقد نبّه الراغب الأصفهاني إلى نكتة إيثار (على) هنا فقال: " راغ فلان إلى فلان، مال نحوه لأمر يريده منه بالاحتيال، قال ... ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي مال، وحقيقته طَلَبٌ بضرب من الروغان، ونبّه بقوله (على) على معنى الاستعلاء"^(٥٦). فكأنه استولى على تلك الأصنام وقهرها.

ووقف محمد الأمين الخضري عند سر هذا الإيثار فقال: " فلما كان قوله: ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ﴾ يعبر عن قصد إبراهيم إلى أصنامهم والسعي إليها خفية جيء بـ(إلى) معبرة عن انتهائه إليها، ومشيرة إلى جعل وصوله إليها غاية لا يلوي معها على شيء، حتى يحقق ما عزم عليه، ثم حين أراد القرآن تصوير ما فعله إبراهيم بآلهتهم وإغارته عليها جيء بـ(على) لتدل بمعنى الاستعلاء فيها على تمكنه منها وقهره لها، وما لحقها من آثار التدمير"^(٥٧).

ومن هذا تظهر حكمة التعبير القرآني بإيثار حرف الاستعلاء (على) على حرف الغاية (إلى)، لأن المعنى هنا يتطلب ذلك، لما في (على)، من معنى الاستيلاء والقهر، وهو ينهال عليها ضرباً بكل ما أوتي من قوة كما تنبئ عن ذلك كلمة (باليمين).

وهذا ينطلق من حقيقة (على) التي تدل على الاستعلاء، تقول: هذا على ظهر الجبل، وعلينا أمير، وعليه دين، لأنه شيء اعتلاه^(٥٨).

ومن هذا القبيل: أعني إيثار (على) على (إلى) ما ورد في قوله ﷻ: ﴿فَتَنَادُوا مُصَبِّحِينَ * أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرْتِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾ [القلم: الآيتان ٢١-٢٢].

ففي المعهود اللغوي أنّ (غدا) يتعدى بـ(إلى)، ففي المعجم الوسيط: يقال: غدا إلى كذا إذا أصبح إليه^(٥٩)، ولكن التعبير القرآني أثر (على) هنا.

وقد تساءل الزمخشري عن سرّ هذا الإيثار فقال: " هلا قيل: اغدوا إلى حرتكم، وما معنى (على)؟ قلت: لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه، كان غدواً عليه، كما تقول: غدا عليهم العدو. ويجوز أن يضمن (الغدو) معنى الإقبال ... أي: فأقبلوا على حرتكم باكرين"^(٦٠).

ولم يسلم للزمخشري عند أبي حيان أنّ (غدا) يتعدى بـ(إلى)، وتعقبه بقوله: "واستسلف الزمخشري أنّ (غدا) يتعدى بـ(إلى)، ويحتاج ذلك إلى نقل، بحيث يكثر



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



ذلك فيصير أصلاً فيه، ويُتأول ما خالفه، والذي في حفصي أنه يتعدى بـ(على)...^(٦١). وهذا ما ورد في القاموس المحيط، أنك تقول: غدا عليه غُدْوًا^(٦٢).

ويجوز عند الآلوسي " أن يكون من (غدا عليه) إذا غار، بأن يكون قد شبه غدوهم لقطع الثمار بغدو الجيش على شيء، لأن معنى الاستعلاء والاستيلاء موجود فيه، وهو الصرم والقطع"^(٦٣).

وهذا المعنى مستفاد من دلالة (على).

وقد وقف الخطيب الإسكافي على الفرق بين (أنزل إلينا) و(أنزل علينا) في قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: الآية ١٣٦]، وقوله: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [آل عمران: الآية ٨٤]. خلاصته ان كل حرف جاء في المكان الذي يقتضيه المعنى، إذ إن (على) للاستعلاء، وهي موضوعة لكون الشيء فوق الشيء، وهي مختصة من الجهات كلها بجهة واحدة هي الفوقية، وأما (إلى) فهي لانتهاء الغاية من أية جهة أتيت، فلا تخصص بجهة واحدة كما تخصص (على)^(٦٤).

لذا يترجح مما سبق أن إيثار (على) على (إلى) في غدوهم على الحرث، يُشبه غدو الجيش على شيء للاستيلاء والسيطرة عليه، من غير اللجوء إلى القول بتضمين (غدا) معنى (أقبل) لتصح تعديته بـ(على)، والله أعلم.

ب. إيثار (على) على (في).

مثال ذلك قوله ﷺ: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: الآيات ٤٥ - ٤٧].

نلاحظ في السياق القرآني الكريم أن الفعل (أخذ) تعدى إلى مفعوله الثاني بحرف الجر (في) أولاً فقال: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ﴾ ثم آثر السياق عليه الحرف (على) ثانياً فقال: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾. ولكي نحاول الوقوف على سر هذا الإيثار، نرى من المفيد الوقوف على معنى (الأخذ والتقلب والتخوف).

فالأخذ هنا بمعنى الإهلاك والمعاقبة^(٦٥)، والتقلب ما يتقلبون فيه من الأسفار، أي تصرفهم في أسفارهم^(٦٦). والتخوف: ظهور الخوف من الإنسان، يقال: تخوفناهم أي: تنقصناهم تنقصاً اقتضاه الخوف من الشيء^(٦٧)، أي: يأخذهم العذاب وهم



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



متخوفون، أو على تنقّص، بأن ينقصهم شيئاً فشيئاً في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا^(٦٨).

وقد حاول أكثر من ناظر في القرآن الكريم الوقوف على سرّ إيثار (على) على (في) في فعل الأخذ.

فقد ذكر الألوسي أنه: "جئ بـ(في) مع التقلب وبـ(على) مع التخوّف، قيل: لأن في التقلب حركتين، فكان الشخص المتقلب بينهما، ولا كذلك التخوّف، وقيل: لما كان التقلب شاغلاً للإنسان بسائر جوارحه حتى كأنه محيط به، وهو مطروّف فيه جئ بـ(في) معه، والتخوّف أي المخافة إنما يقوم بعضو من أعضائه فقط، وهو القلب المحيط به بدن الإنسان، فلذا جئ بـ(على) معه، وقيل إن (على) بمعنى (مع)..."^(٦٩). هكذا قال الألوسي.

وحاول محمد الأمين الخصري الوقوف على سرّ هذا التنوع في التعبير فقال: "لأن إيثار حرف الظرفية مع التقلب، قصد به الادلال على كمال القدرة الإلهية في الوصول بالانتقام إلى من يريد، مهما بدا للمأخوذ أنه في كمال القدرة والقوة، ذلك أن التقلب يعني حركة الحياة التي أقبل عليها مقترفو السيئات، مما يدل على أنهم في كامل صحتهم وقوتهم وكمال سلطانهم وجبروتهم، وهم في هذه الحال لا يستطيعون أن يفوتوا الله ويعجزوه هرباً، لذلك تناسب مجيء الفاصلة القرآنية بعدها قوله: ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾"^(٧٠).

وذكر أيضاً أنّ سرّ إيثار (على) في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾. "أن الاستعلاء فيها يدل على أن الله زادهم عذاباً فوق عذاب الخوف وآلامه، وهو بلاء كان قد وقع بهم من قبل، وأصابهم بأمراض الذعر والقلق وافتقار الأمن والطمأنينة، ثم جاء عقابه وأخذهم بما اقترفوه بلاءً فوق بلاء، وعذاباً على عذاب"^(٧١). وهذا المعنى متأت من حقيقة (على) التي تفيد معنى الاستعلاء والقهر والتسلط.

وكما أفادت (على) هنا معنى القهر والاستعلاء، فهي تفيد أيضاً العلو والتشريف والتفضيل في سياق الخبر كما سيأتي - إن شاء الله - في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: الآية ٢٤]. ومن هذا تبين أن كلّ حرف جاء في المكان اللائق به ليدل على المعنى المراد والله اعلم.



ج. إيثار (على) على (اللام).

مثال ذلك ما جاء في قوله ﷺ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦].

نرى المخالفة بين حرفي الجر (اللام) و(على) في سياق الآية الكريمة ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، ولم يأت السياق على نسق واحد بأن يكون: (لها ما كسبت ولها ما اكتسبت) أو (عليها ما كسبت وعليها ما اكتسبت).

وعلة ذلك عند المفسرين وعلماء العربية من خلال الاستقراء، أن اللام تأتي مع الخير والنفع، و(على) تأتي مع الشر والضر غالباً، وذلك انطلاقاً من معنى اللام التي تفيد الاختصاص والملك والاستحقاق^(٧٢). ومن معنى (على) التي تدل على الاستعلاء والقهر والاستيلاء. قال ابن جني: "إنّ العرب قد يستعملون (على) في الأفعال الشاقة المستثقلة، فيقولون: قد سرنا عشراً وبقيت علينا ليلتان، وتقول: حفظت القرآن وبقيت عليّ منه سورتان، وقد صمنا عشرين من الشهر وبقيت علينا عشر، وإنما اطردت (على) في هذه الأفعال، من حيث كانت (على) في الأصل للاستعلاء.. فلما كانت هذه الأحوال كُلفاً ومشاقاً تخفض الإنسان وتضعه وتعلوه... حتى يخنع لها ويخضع لما يتسداه منها، كان ذلك من مواضع (على)، ألا تراهم يقولون: هذا لك وهذا عليك، فتستعمل اللام فيما تؤثره و(على) فيما تكرهه؟"^(٧٣).

وهذا ما ذهب إليه الزمخشري عند تعرضه لمعنى الآية الكريمة، أي: ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر^(٧٤).

وفي هذا قال ابن عطية: "جاءت العبارة في الحسنات بـ(لها) من حيث هي مما يفرح الإنسان بكسبه ويُسّر فتضاف إلى ملكه، وجاءت في السيئات بـ(عليها) من حيث هي أوزار وأثقال ومتحمّلات صعبة، وهذا كما تقول: لي مال وعليّ دين"^(٧٥).

وهذا المعنى عند الألوّسي على حذف مضاف هو (ثواب) في الأول و(عقاب) في الآخر، أي: لها ثواب ما كسبت وعليها عقاب ما اكتسبت، وذكر أنّ مفسّر (ما) الأولى (الخير) بدلالة اللام الدالة على النفع، ومفسّر (ما) الثانية الشر بدلالة (على) الدالة على الضر^(٧٦).



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



وما ذهب إليه المفسرون قال به أصحاب البلاغة أيضاً، فقد ذكر الشريف المرتضى أنّ (على) في بعض المواضع لا تجئ إلا لتدل على الشر والأمر المكروه، وأما (اللام وعن) فعلى خلافها، لأنهما يستعملان في الخير، فقولهم: (قال عليّ كذا) و(روى عليّ كذا)، فانه يقال في الشر والكذب والإدعاء، أما إذا قيل: (قال عني كذا) و(روى عني كذا) فيكون ذلك في الخير والحق^(٧٧).

ونلاحظ هذا الاطراد في السياق القرآني - أعني مجيء (اللام) مع النافع و(على) مع الضار غالباً، كما في الآية الكريمة التي نحن بصددنا، وكما في قوله تعالى: ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: الآية ١٥]، وقوله عز اسمه: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [هود: الآية ٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠١].

ومجيء هذه المخالفة بين المعنيين المتضادين أو المتقابلين في الجملة، أطلق عليه البلاغيون الطباق أو التضاد^(٧٨).

والملاحظ أيضاً أنّ التعبير القرآني في الآية الكريمة، خالف بين تصريفي الفعلين (كسب واكتسب).

وقد وقف الزمخشري عند سرّ هذه المخالفة فقال: "إن قلت: لم خص الخير بالكسب والشر بالاكْتَسَاب؟ قلت: في (الاكْتَسَاب) اِعْتِمَالٌ، فلما كان الشر مما تشتهيهِ النفس وهي منجذبة إليه وأمارة به، كانت في تحصيله أعمل وأجد، فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وُصِفَتْ بما لا دلالة فيه على الاعْتِمَال"^(٧٩).

وإلى ما في صيغة (اكتسب) من الاعْتِمَال والتكلف ذهب ابن عطية^(٨٠) وأبو حيان^(٨١)، إذ إنّ زيادة بناء الفعل تدل على التكلف في العمل.

جاء في الخصائص في باب (قوة اللفظ لقوة المعنى) في الآية الكريمة "إن كسب الحسنه بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير مُستصغر، وذلك لقوله عز اسمه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: الآية ١٦٠]، أفلا ترى أن الحسنه تصغر بإضافتها إلى جزائها صغر الواحد إلى العشرة؟ ولما كان جزاء السيئة إنما هو بمثلها لم تُحتقر إلى الجزاء عنها،



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



فَعَلِمَ بِذَلِكَ قُوَّةَ فِعْلِ السَّيِّئَةِ عَلَى فِعْلِ الْحَسَنَةِ ... فَإِذَا كَانَ فِعْلُ السَّيِّئَةِ ذَاهِبًا بِصَاحِبِهِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ الْبَعِيدَةِ الْمَتْرَامِيَّةِ، عَظَّمَ قَدْرَهَا وَفَحَّمَ لَفْظَ الْعِبَارَةِ عَنْهَا ... فَزِيدَ فِي لَفْظِ فِعْلِ السَّيِّئَةِ وَانْتَقِصَ مِنْ لَفْظِ فِعْلِ الْحَسَنَةِ لَمَّا ذَكَرْنَا^(٨٢).

وفي هذا قال الزركشي: "واعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نُقِلَ إِلَى وَزْنٍ آخَرَ أَعْلَى مِنْهُ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَضَمَّنَ مِنَ الْمَعْنَى أَكْثَرَ مِمَّا تَضَمَّنَهُ أَوَّلًا، لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ أَدَلَّةَ الْمَعْنَى، فَإِذَا زِيدَتِ الْأَلْفَاظُ وَجِبَ زِيَادَةُ الْمَعْنَى ضَرُورَةً"^(٨٣).

وعند الجوهري ان (كسب واكتسب) كلاهما بمعنى^(٨٤). وتابع في ذلك أبو حيان فقال: "الصحيح عند أهل اللغة أن (الكسب والاكْتِسَاب) واحد، والقرآن ناطق بذلك، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾ [المدثر: الآية ٣٨]، وقال: ﴿لَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: الآية ١٦٤]، وقال: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: الآية ٨١]، وقال: ﴿بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٨]. ومنهم من فرّق، فقال الاكْتِسَابُ أَخَصُّ مِنَ الْكَسْبِ، لِأَنَّ الْكَسْبَ يَنْقَسِمُ إِلَى كَسْبِ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ، وَالْاِكْتِسَابُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِنَفْسِهِ"^(٨٥).

والراجع ما ذهب إليه المفرقون بين الصيغتين من أن تكثير اللفظ لتكثير المعنى، وهو ما ذهب إليه إمام العربية سيبويه^(٨٦): "ولاشك أنه لو لم يختلف المعنى لم تختلف الصيغة، إذ كل عدول عن صيغة إلى أخرى لا بد أن يصحبه عدول عن معنى إلى آخر إلا إذا كان ذلك لغة"^(٨٧).

د. إيثار (على) على (من).

مثال ذلك قوله ﷺ: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: الآيات ١-٣].

معنى الآية الكريمة: إذا أخذوا من الناس ما أخذوا بحكم الشراء ونحوه كيلاً يأخذونه وافيّاً وافراً، و(إذا كالوهم) أي كالوا لهم أو وزنوا لهم للبيع يُنْقِصُونَ^(٨٨).

ذهب كثير من المفسرين وعلماء العربية إلى أن (على) بمعنى (من) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ أي اکتالوا من الناس لأنفسهم^(٨٩). وهو ما ذكره ابن منظور عن ثعلب الكوفي^(٩٠).



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



وقيل: ضُمَّنَّ الفعل (اكتالوا) معنى استولوا وتسلطوا، لذا عُدي بـ(على)، جاء في روح المعاني: إن إيثار (على) هنا على (من) قيل: لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء، أو للإشارة إلى أنه اكتيال مضر للناس^(٩١).

والظاهر أن (على) هنا على بابها لإفادة معنى الاستعلاء والاستيلاء والتسلط. وبسبب من إفادة (على) هذا المعنى وضع الزمخشري يده على السر في إيثارها على (من) فقال: "لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويُتحامل فيه عليهم أبدل (على) مكان (من) للدلالة على ذلك"^(٩٢).

وعلى هذا فإنَّ (على) تتعلق بـ(اكتالوا)، وأجاز أنْ تتعلق بـ(يستوفون)، ويقدم المفعول على الفعل لإفادة الاختصاص، أي: يستوفون على الناس خاصة، فأما أنفسهم فيستوفون لها^(٩٣).

والقول بأنَّ (على) بمعنى (من) لا يفيد المعنى الذي يفيد القول بأنَّ (على) على بابها في إفادة معنى الجور والظلم.

وقد وقف الدكتور فاضل السامرائي على الفرق بينهما في هذا الموضوع فقال: "إنَّ هناك فرقا بين قولك: (اكتال منه واكتال عليه)، فـ(اكتال منه) لا يفيد أنه ظلمه حقه وهضمه ماله، بخلاف (اكتال عليه)، فإن فيه معنى التسلط والاستعلاء ... فهم إذا أخذوا منهم أخذوا أكثر من حقهم، وإذا أعطوهم أعطوهم أقل من حقهم، ففيه إذن معنى التحكم والجور والظلم، وهو أبلغ من (من) ولا تفيد (من) هذا المعنى"^(٩٤).

وهذا ينطلق من حقيقة (على) التي تفيد الاستعلاء، ويفهم منها معنى الاستيلاء والثقل، فهم يقولون: فلان عليه دين وعليه قصاص، كأنما هذه أُنقال يحملها على عنقه وعلى ظهره، ويقولون: هو على ضلال، أي: أنه امتطى الضلال واتخذة مركبا يقوده إلى السوء^(٩٥).

٣. إيثار (عن).

أ. إيثار (عن) على (على).

من ذلك قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ﴾ [محمد: الآية ٣٨].

قيل: إنَّ (عن) هنا بمعنى (على) التي تفيد الاستعلاء، أي: يبخل على نفسه^(٩٦).



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



وقيل: بل هي على بابها لإفادة معنى المجاوزة، أي: يبعد الخير عن نفسه بالبخل^(٩٧). أو لا يتعدى ضرر بخله إلى غير نفسه^(٩٨).

والأصل في (بخل) أن يتعدى بالباء، تقول بخل الرجل بكذا^(٩٩)، ومنه قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾ [آل عمران: الآية ١٨٠] و﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾ [التوبة: الآية ٧٦].

وذكر المفسرون في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أنه يقال: بخلت عليه وبخلت عنه^(١٠٠)، وعلة تعديته هنا بـ(عن) عند الالوسي أن (البخل) فيه معنى المنع ومعنى التضييق على من منع عنه المعروف، لذا ناسب أن يعدى بـ(عن)^(١٠١) إيثاراً على (على) لإفادة هذا المعنى، لـ" أن ثمة فرقاً بين قولك: (يبخل على نفسه) و(يبخل عن نفسه)، فقولك (يبخل على نفسه) معناه أن عاقبة بخله تعود عليه، كقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦]. لما كانت العاقبة سوءاً جئ بـ(على) وكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: الآية ٢٣]، ويحتمل معنى آخر، هو أنه لا ينفق على نفسه، أي ينقلها بالبخل، فكأن البخل حمل يعلوه.

وأما (بخله عن نفسه) فمعناه: إنه يبخل منصرفاً عن نفسه، أي منصرفاً عن مصلحة نفسه مبتعداً عنها. فإن البخل في الحقيقة ابتعاد عن مصلحة النفس، فكأنه يبتعد عن نفسه بالبخل بخلاف الإنفاق فانه لها^(١٠٢).

وعلى هذا، فإن معنى المجاوزة والابتعاد عن النفس ظاهر في إيثار (عن)، وهو أشهر معانيها، فضلاً عن أن البصريين لم يثبتوا لها غير هذا المعنى^(١٠٣).

ب. إيثار (عن) على (من).

مثال ذلك ما ورد في قوله تعالى - وهو يذكر مقولة إبليس -: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: الآيات ١٦ - ١٧].

نلاحظ أن التعبير القرآني المعجز قد غاير في تعدية الفعل (أتى)، فعدها في الموضع الأول بـ(من) فقال: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، ثم أثر عليه



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



(عن) في الموضع الثاني فقال: ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ ولم يطرد السياق على نمط واحد بان يكون (من أيمانهم ومن شمائلهم) كما قال في الموضع الأول. ولكي نقف على سر هذا الإيثار ينبغي الوقوف على دلالة كل من (عن ومن). وقد مرَّ بنا أنَّ (عن) تفيد المجاوزة، وإيضاح ذلك كما ذكر سيبويه "أنك تقول: أطعمه عن جوع [أي] جعل الجوع منصرفاً تاركاً له قد جاوزه ... وتقول: جلس عن يمينه [أي] فجعله متراخياً عن بدنه، وجعله في المكان الذي بحيال يمينه ... وتقول: أضربتُ عنه وأعرضتُ عنه وانصرف عنه إنما تريد أنه تراخى عنه وجاوزه إلى غيره" (١٠٤).

أما (من) فتفيد معنى ابتداء الغاية (١٠٥)، فلما كانت (من) تفيد هذا المعنى، فهذا يعني أنَّ مبدأ إتيان إبليس كان من تلكما الجهتين: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، ولما كانت (عن) تفيد المجاوزة، كان معناه أن إبليس أتاهما منحرفاً عنهما متجاوزاً لهما (١٠٦): ﴿عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾.

وأوضح ذلك الزمخشري بقوله: "فإن قلت: كيف قيل: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، بحرف الابتداء ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾. بحرف المجاوزة؟ قلت: المفعول فيه عُدِّي إليه الفعل نحو تعديته إلى المفعول به، فكما اختلفت حروف التعديّة في ذاك اختلفت في هذا. وكانت لغة تؤخذ ولا تُقاس. وإنما يُفتش عن صحة موقعها فقط، فلما سمعناهم يقولون: جلس عن يمينه وعلى يمينه، وعن شماله وعلى شماله، قلنا: معنى (على يمينه) أنه تمكن من جهة اليمين تمكّن المستعلي من المُستعلي عليه، ومعنى (عن يمينه) أنه جلس متجافياً عن صاحب اليمين منحرفاً عنه غير ملاصق له. ثم كثر حتى أُستعمل في المتجافي وغيره" (١٠٧).

ولم يكتفِ الزمخشري بالوقوف على سر هذا الإيثار فقط، وإنما وقف عند حدود صحة التركيب. وقد تعقبه أبو حيان محاولاً الكشف عن نكتة هذا الإيثار فقال: "وهذا الكلام لا بأس به، وأقول: إنما خص (بين الأيدي والخلف) بحرف الابتداء الذي هو أمكن في الإتيان، لأنهما أغلب ما يجيء العدو منهما فينال فرصته، وقدم (بين الأيدي) على (الخلف) لأنها الجهة التي تدل على إقدام العدو وبسالته في مواجهة قرّنه غير خائف منه، و(الخلف) جهة غدر ومخاتلة، وجهالة القرن بمن يغتاله ويتطلب غرته وغفلته. وخص (الأيمان والشمائل) بالحرف الذي يدل على المجاوزة،



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



لأنهما ليستا بأغلب ما يأتي منهما العدو، وإنما يتجاوز إتيانه إلى الجهة التي هي أغلب في ذلك. وقدمت (الأيمن) على (الشمال) لأنها الجهة التي هي أقوى في ملاقاته العدو، و(بالأيمن) البطش والدفع، فالقرن الذي يأتي من جهتها أبسل وأشجع، إذ جاء من الجهة التي هي أقوى في الدفع، و(الشمال) جهة ليست في القوة والدفع كالأيمن^(١٠٨).

وللرازي تعليق لطيف في إيثار (عن) على (من)، وهو أن (اليمن والشمال) فيهما مكان لقوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدًا﴾ [ق: الآية ١٧]، لذلك فإن إبليس يتجاوزهما ويتجافى عنهما. ومن هذا يتبين أنه حضر على هاتين الجهتين مكان ولم يحضرا في القدام والخلف، والشيطان يتباعد عن الملك، فهذه النكتة خص التعبير القرآني اليمن والشمال بالحرف (عن) لأجل إفادتها البعد والمباينة^(١٠٩).

والآية الكريمة تنص على أن إبليس توعد المؤمنين، بأنه سيأتيهم من الجهات الأربع، التي يأتي منها العدو في الغالب، وهذا تمثيل لوسوسته إليهم وتسويله ما أمكنه ذلك وقدر عليه^(١١٠).

كما يمكن أن يشي النص الكريم، بأن حركة الشيطان في إغواء الناس تختلف باختلاف قوة إيمانهم ويقظتهم، فاختلفت بموجب ذلك جهات إقدامه عليهم، فالغافل المفرط في الغفلة يواجهه من أمامه فيستحوذ عليه، ثم يليه من كان دون ذلك في الغفلة، فيتدسس له من خلفه، أما المؤمن اليقظ فحسبه أن يتجاوزته عن يمينه وشماله متجافياً عنه غير ملتصق به، فضلاً عن وجود ملكين عن اليمن والشمال يقتضي تجاوزهما^(١١١).

٤. إيثار (في).

أ. إيثار (في) على (على).

مثال ذلك قوله ﷺ: ﴿وَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: الآية ٧١].

ذهب الكوفيون ومن تابعهم إلى أن (في) هنا بمعنى (على)، أي: لأصلبكم

على جذوع النخل، لأن الصلب يكون على الجذوع وليس فيها^(١١٢).

واستشهدوا على ذلك بقول عنتر:



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



بَطْلٌ كَانَ ثِيَابِهِ فِي سَرْجَةٍ يُحْدَى نِعَالُ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ^(١١٣)

أي: على سرحة، والسرحة الشجرة العظيمة الطويلة^(١١٤).

ويقول الآخر:

وهم صلبوا العبدِيَّ في جذع نخلةٍ فلا عطستُ شيبانُ إلا بأجدعا^(١١٥)

أي: على جذع نخلة.

وعلل الفراء استخدام (على) أو (في) في الآية الكريمة بقوله: " يصلح (على) موضع (في)، وإنما صلحت (في) لأنه يُرفع في الخشبة في طولها، وصلحت (على) لأنه يُرفع فيها فيصير عليها"^(١١٦).

وذكر الزركشي السر في إيثار (في) قال: " ولم يقل (على) كما ظن بعضهم، لأنّ (على) للاستعلاء، والمصلوب لا يُجعل على رؤوس النخل وإنما يُصلب في وسطها، فكانت (في) أحسن من (على)"^(١١٧).

وذهب ابن يعيش هذا المذهب، إلا أنّ ذلك عنده على تضمين الصلب معنى الاستقرار والتمكّن، فذكر أن (في): " ليست في معنى (على) على ما يظنه من لا تحقيق عنده، ولما كان الصلب بمعنى الاستقرار والتمكّن عدي ب(في) كما يُعدى الاستقرار، فكما يقال: تمكن في الشجرة، كذلك ما هو في معناه ... فهو من قبيل الفعلين أحدهما في معنى الآخر"^(١١٨).

والتحقيق أنّ (في) هنا ليست بمعنى (على)، وليس الكلام من باب التضمين أيضاً، وإنما هي على بابها في إفادة الظرفية. إذ إنها تفيد الظرفية حقيقةً أم مجازاً، كما قرر النحاة^(١١٩). ووجه ذلك أنه شبه تمكّن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه، ودلت (في) على إبقائهم على جذوع النخل زماناً طويلاً، وتشبيه استمرارهم على الجذوع باستقرار الظرف في المظروف المشتمل عليه^(١٢٠)، فصار الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور على سبيل المجاز^(١٢١). بل ساق أبو حيان خيراً مفاده أن (في) على بابها في إفادة الظرفية حقيقةً بأن " نقر فرعون الخشب وصلبهم في داخله، فصار ظرفاً لهم حقيقةً حتى يموتوا فيه جوعاً وعطشاً"^(١٢٢). والله اعلم.



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



ومن إيثار (في) على (على) ما ورد في قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: الآية ٢٤].

نلاحظ أن السياق القرآني خالف بين حرفي الجر (على) و(في)، فاستعمل (على) مع الهدى فقال: ﴿لَعَلَىٰ هُدًى﴾ ثم آثر عليه (في) مع الضلال فقال: ﴿أَوْ فِي ضَلَالٍ﴾ ولو جرى السياق على نمط واحد لقال: (على هدى أو على ضلال). ولا بد لهذه المخالفة بين الحرفين من مغزى.

وقد وقف الزمخشري على نكتة هذا الإيثار فقال: "فإن قلت: كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال؟ قلت: لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه" (١٢٣).

وهذه الصورة التي رسمها التعبير القرآني منطلقة من حقيقة (على) الدالة على الاستعلاء، و(في) الدالة على الظرفية أو الوعاء.

وقد وقف ابن القيم على السر في استعمال الأداة (على) عند تفسيره قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: الآية ٥] فقال: "في أداة (على) سر لطيف، وهو الإشعار بكون السالك على هذا الصراط على هدى وهو حق، كما قال في حق المؤمنين: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: الآية ٧٩] والله ﷻ هو الحق، وصراطه حق ودينه حق، فمن استقام على صراطه فهو الحق والهدى، فكان في أداة (على) على هذا المعنى ما ليس في أداة (إلى)، فتأمل فانه سرٌ بديع. فإن قلت: فما الفائدة في ذكر (على) في ذلك أيضاً؟ وكيف يكون المؤمن مستعلياً على الحق وعلى الهدى؟ قلت: لما فيه من استعلائه وعلوه بالحق والهدى مع ثباته عليه واستقامته إليه، فكان في الإتيان بأداة (على) ما يدل على علوه وثبوت واستقامته، وهذا بخلاف الضلال والريب، فإنه يوتى فيه بأداة (في)، الدالة على انغماس صاحبه وانقماعه وتدسسه فيه، كقوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: الآية ٤٥]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام: الآية ٣٩]، وقوله: ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: الآية ٥٤]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: الآية ١١٠]. وتأمل قوله:



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



﴿وَأَنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: الآية ٢٤]، فإن طريق الحق تأخذ علواً صاعدة بصاحبها إلى العلي الكبير، وطريق الضلال تأخذ سفلاً هاوية بسالكها في أسفل سافلين" (١٢٤).

والتعبير القرآني في هذا رسم صورة حسيّة لصاحبي الحق والضلال، فالأول، عالي المكانة والمقام، يرقب الأشياء بنظره وينفسح أمامه الأفق، فيرى الأشياء على حقائقها، بل هو مستعلٍ على نوازع السقوط والتسفل، على النقيض من الثاني الساقط في مهاوي الضلال المنغمس في لجة الظلام، لا يستبين طريقه ولا يدري أين يتوجه، بل هو متخبط الفكر ممزق النفس مسلوب الإرادة (١٢٥).

ب. إيثار (في) على (اللام).

من ذلك ما جاء في قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَّاتِ لِقُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ٦٠].

الآية الكريمة تتحدث عن ثمانية أصناف من الناس تُعطى لهم الزكاة. وقد خصّت الأصناف الأربعة الأولى باللام التي تدل على الاختصاص والملك (١٢٦)، فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَّاتِ لِقُلُوبِهِمْ﴾ ثم آثر السياق القرآني على اللام الحرف (في)، الدال على الظرفية في الأصناف الأربعة الأخرى فقال: ﷻ: ﴿وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

وقد تساءل الزمخشري عن السر في هذا الإيثار فقال: "فإن قلت: لم عدل عن اللام إلى (في) في الأربعة الأخيرة؟ قلت: للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره، لأن (في) للوعاء، فنبه على أنهم أحقّاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصباً، وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر، وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ، ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة، وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال - وتكرير (في) في قوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين" (١٢٧).



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



ويرى أحمد بن المنير الاسكندي، أن هناك سراً آخر في إيثار حرف الجر (في) على اللام " وذلك أن الأصناف الأربعة الأوائل ملاك لما عساه يدفع إليهم، وإنما يأخذونه ملكاً، فكان دخول اللام لائقاً بهم^(١٢٨)، وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم، بل ولا يُصرف إليهم، ولكن في مصالح تتعلق بهم، فالمال الذي يصرف في الرقاب إنما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون، فليس نصيبهم مصروفاً إلى أيديهم، حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يُصرف نحوهم، وإنما هم محال لهذا الصرف والمصلحة المتعلقة به. وكذلك العاملون إنما يُصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصاً لذممهم لا لهم. وأما في سبيل الله فواضح فيه ذلك. وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجاً في سبيل الله، وإنما أُفرد بالذكر تنبيهاً على خصوصيته مع أنه مجرد من الحرفين جميعاً^(١٢٩).

وخلاصة القول في الآية الكريمة، أن الأصناف الأربعة الأولى، يصرف المال إليهم حتى يملكوه ويتصرفوا فيه كيف شاءوا بدلالة لام الملك التي خصهم بها السياق القرآني، أما الأصناف الأربعة الأخيرة، فإن المال لا يصرف إليهم مباشرة ولا يُمكنوا من التصرف فيه، بل يُؤدّى عنهم إلى جهات الحاجات المعتبرة التي لأجلها استحقوا أسهم الزكاة، بدلالة حرف الظرفية (في)، التي يفهم منها أنهم محل أو ظرف لذلك الصرف لمصالح تتعلق بهم^(١٣٠).

٥. إيثار (اللام).

- إيثار (اللام) على (الباء).

من ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: الآية ٦١].

نلاحظ أن فعل الإيمان عُدي بالباء أولاً فقال: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ وآثر السياق عليه اللام ثانياً فقال: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقد وقف كثير من المفسرين عند هذا التركيب: (آمن به وآمن له) فقيل إن: آمن به وآمن له واحد^(١٣١).

وذهب الزجاج إلى أن المعنى: يصدق الله ويصدق المؤمن فيما يخبرونه به^(١٣٢)، وعلى هذا فالباء واللام زائدتان، وهو ما ذكره أبو حيان^(١٣٣)، ونقله ابن منظور عن ثعلب^(١٣٤).



إِبْتِثَارُ حُرُوفِ الْجَرِّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ



وذهب أبو البقاء العكبري إلى أن اللام زائدة، دخلت لتفترق بين (يؤمن) بمعنى (يصدق) و(يؤمن) بمعنى يثبت الأمان^(١٣٥).

ونقل أبو حيان عن المبرد أن اللام في ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: "متعلقة بمصدر مقدر من الفعل، كأنه قال: وإيمانه للمؤمنين، أي: وتصديقه، وقيل: يقال: آمنت لك بمعنى (صدقتك)^(١٣٦)، ومنه قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف: الآية ١٧] وعندي [أي المبرد] أن هذه التي معها اللام في ضمنها باء، فالمعنى: ويصدق للمؤمنين فيما يخبرونه به، وكذلك: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ بما نقوله لك^(١٣٧). جاء في معجم مقاييس اللغة في (أَمِنَ): "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، والمعنيان كما قلنا متدانيان"^(١٣٨).

وذهب قسم من المفسرين، إلى القول بتضمين فعل الإيمان المعدي باللام، معنى الانقياد والاستجابة والإقرار، قال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٧٥]: "اللام في قوله (لكم) لتضمين (يؤمنوا) معنى (يقرّوا)، وكأنّ فيه تلميحاً إلى أن إيمانهم بصدق الرسول ﷺ حاصل، ولكنهم يكابرون ويجحدون"^(١٣٩).

وبالتضمين قال الآلوسي، إذ إن قوله تعالى: ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ معناه: يصدقوا مستجيبين لكم، وهو علة تعديّة فعل الإيمان باللام، أو أنّ المعنى: يؤمنوا لأجل دعوتكم لهم، وعليه فالفعل مُنْزَلٌ مُنْزَلَةٌ اللّازِم، واللام لام الأجل^(١٤٠).

وذكر رشيد رضا في تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: "أنّ نكتة تعديّة الإيمان بالبإء في (الله) تعالى وباللام في (المؤمنين) أن الأول على الأصل (آمن به) ضد (كفر به) و(صدق به) ضد (كذب به)، وأما الثاني فقد ضمّن معنى الميل والائتمان والجنوح للمؤمنين"^(١٤١).

ويبدو أنّ الزمخشري كان أدقّ حساً وأرهف ذوقاً، في وضع اليد على الفرق الدقيق بين تعديّة فعل الإيمان بالبإء أولاً وباللام ثانياً، بقوله: "فإن قلت: لم عُدّي فعل الإيمان بالبإء إلى الله تعالى وإلى المؤمنين باللام؟ قلت: لأنه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به، فعدي بالبإء، وقصد السماع من المؤمنين وأن يسلمّ لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده، فعُدّي باللام، ألا ترى إلى قوله:



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: الآية ١٧] ما أنباه عن الباء؟ ونحوه: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ [يونس: الآية ٨٣]، ﴿قَالُوا أَنْوْمُنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ﴾ [الشعراء: الآية ١١١]، ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ [طه: الآية ٧١] (١٤٢).

كما علل محمد الأمين الخضري هذه التعدية بقوله: 'فالباء بما تدل عليه من الملابس والمصاحبة والإلصاق، تخلع على فعل الإيمان، وجود الأمن في ظلال من يؤمن به ويلتمس الحماية في صحبته، والطمأنينة في ملابسته، فيكون حريصاً على رضاه عاملاً بما يأمره به، ولذلك فإنَّ الإيمان لا يتعدى بالباء إلا في الإيمان بالله ورسله وكتبه، لما أنَّ الإيمان بالرسول هو امتداد للإيمان بالله، وكذلك الإيمان بالكتب، لأنَّ الكتب كلام الله. أما اللام فإنَّ الفعل يكتسب معها معنى الاستجابة للمصدق فيما دعا إليه، والانحياز له في رأيه أو ما جاء به، انطلاقاً من طبيعة اللام الدالة على اختصاصه بهذه المزية' (١٤٣).

وقد وقف علماء التفسير، الذين خاضوا في متشابه اللفظ في القرآن الكريم، على العلة في تعدية فعل الإيمان بالباء مرة وباللام أخرى، وذلك عند كلامهم على قوله تعالى - في حكاية فرعون لأتباعه في قصة سيدنا موسى عليه السلام -: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٢٣] وقوله: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ [طه: الآية ٧١ والشعراء: الآية ٤٩] فالسر في ذلك عند الكرمانى: "أن الضمير في (به) هنا يعود إلى رب العالمين وهو (المؤمن به) سبحانه، وفي السورتين يعود إلى موسى وهو (المؤمن له)" (١٤٤).

قال الخطيب الإسكافي: "إنَّ الهاء في (آمنتم به) غير الهاء في (آمنتم له)، وكل واحدة تعود الى غير ما تعود إليه الأخرى، فالتي في (آمنتم به) لرب العالمين، لأنه تعالى حكى عنهم: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٢١] وهو الذي دعا إليه موسى عليه السلام ... وأما الهاء في (آمنتم له) فلموسى عليه السلام ... ويجوز ان يكون الهاء في ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾ ضمير موسى عليه السلام (١٤٥) لأنه يجوز أن يقال: آمن بالرسول، أي: أظهرتم تصديقه وأقدمتم على خلافي قبل أن آذن لكم فيه، وهذا المكر مكترموه وسرُّ أسررتموه لتقلّبوا الناس عليّ. فاقضى هذا الموضع الذي ذكر فيه المكر إنكار الأيمان به، فأما (الأيمان له) في الموضعين الآخرين، فاللام تفيد معنى



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



الإيمان من أجله، ومن أجل ما أتى به من الآيات، فكأنه قال: آمنتم برب العالمين لأجل ما ظهر لكم على يدي موسى عليه السلام من آياته، وفي الموضع الذي ذكر فيه من أجله وعبر عنه باللام هو الموضع الذي قصد فيه إلى الإخبار بأنه كبيركم الذي علمكم السحر، فذلك خص باللام، والأول خص بالباء. وقد تدل اللام على الاتباع فيكون المعنى: اتبعتموه لأنه كبيركم في عمل السحر^(١٤٦).

ويتضح من هذا أنه يترجح عند الإسكافي أن الضمير (الهاء) في ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾ يعود إلى رب العالمين، وهو ما ذهب إليه جل المفسرين^(١٤٧).

وجاء في (ملاك التأويل) - في ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾ و﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾ - إن الباء تحرز التصديق، واللام تحرز الانقياد والإذعان، والباء المعطية معنى التصديق أخص بالمقصود من اللام، كأنه قيل لهم: أصدقتموه منقادين له في دعائه إياكم إلى الإيمان بما جاء من عند الله؟ فحصل المقصود على أكمل وجه^(١٤٨).

ويظهر مما سبق أنه يترجح أن يكون التركيب (آمن به) يرد في سياق الإيمان بالله ورسله وكتبه، لما أن الإيمان بالرسول وبالكتب هو امتداد للإيمان بالله، وهذا ينطلق من طبيعة الباء الدالة على الملازمة والمصاحبة والإصاق، أما التركيب (آمن به) فيرد في سياق تصديق البشر واستجابتهم وانقيادهم لبعضهم، انطلاقاً من طبيعة اللام المختصة بهذه المزايا^(١٤٩).

أما ما ورد في القرآن من مواضع، ذكر فيها فعل الإيمان متعدياً بالباء إلى غير الله تعالى، وموضوع الإيمان فيها ليس فيه تصديق، نحو قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: الآية ٥٠] وقوله سبحانه: ﴿أَقْبَابُ بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: الآية ٦٧] فهو وارد في سياق التوبيخ وتسفيه الاعتقاد وإظهار زيفه^(١٥٠).

ومن هذا يفهم أن فعل الإيمان، تختلف دلالاته باختلاف الحرف الداخل عليه، كما مرّ في قولنا مثلاً: رغبت فيه ورغبت عنه، فإن الفعل واحد والمعنى مختلف.

٦. إيثار (من).

أ. إيثار (من) على (الباء).



إِبْتِثَارُ حُرُوفِ الْجَرِّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ



من ذلك قوله ﷺ: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَذَا إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ* وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: الآيتان ٤٤ - ٤٥].

ذهب جمع من علماء العربية إلى أن (من) في قوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ بمعنى الباء، أي: ينظرون بطرف خفي، ويستشهدون بالآية الكريمة^(١٥١).

وذكر المرادي أن من معاني (من) أن تكون موافقة للباء نحو ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ وذكر أن الأخفش نقل عن يونس أن المعنى: ينظرون بطرف خفي، كما تقول العرب: ضربته من السيف أي بالسيف^(١٥٢). وقال الدماميني: إن أريد بكون الطرف آلة النظر فـ(من) بمعنى الباء كما قال يونس، وإن أريد أن الطرف وقع النظر منه ابتداء فـ(من) لابتداء الغاية لا بمعنى الباء، فهما معنيان متغايران موكولان إلى إرادة المستعمل^(١٥٣).

وأجاز السمين الحلبي أن تكون (من) هنا لابتداء الغاية، وأن تكون تبعيضية وأن تكون بمعنى الباء، وذكر أنه بكلّ قد قيل^(١٥٤). ورجح ابن هشام أن تكون لابتداء الغاية^(١٥٥).

وقيل إنّ وصف النظر بـ(الخفي)، أنهم يحشرون عمياً، ولما كان نظرهم بعيون قلوبهم جعله طرفاً خفياً^(١٥٦). وعند الزمخشري وأبي حيان أن هذا التأويل فيه تعسف^(١٥٧). وقيل: وصف بالخفاء لأن نظرهم ذليل ضعيف^(١٥٨).

والتحقيق أن (من) ليست بمعنى الباء، لأنّ المعنى ليس عليه، لأنه لا يراد أنهم ينظرون بطرفهم وإلا لعدل السياق القرآني إليه، والله اعلم. وللمزمخشري حسّ دقيق في تصور المعنى الذي يدل عليه الواقع المشاهد، في صورة أولئك الصاغرين المتضائلين مما يلحقهم من الذل، قال: "﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أي: يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة، كما ترى المصبور ينظر إلى السيف، وهكذا نظر الناظر إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملاً عينيه منها، كما يفعل في نظره إلى المحاب^(١٥٩).

والمعنى كما نقله أبو حيان أنهم "يسارقون النظر لما كانوا فيه من الهمّ وسوء الحال، لا يستطيعون النظر بجميع العين وإنما ينظرون من بعضها"^(١٦٠).

وعلى هذا فإنّ (من) على بابها في إفادة معنى التبويض، كما يشي بذلك واقع الشخص المنهار أمام سيّافه.

وفي هذا المعنى قال الدكتور فاضل السامرائي: "ويترجح عندي أنّها للتبويض، أي: ينظرون ببعض طرفهم، وهو المناسب لمشهد الذل الذي هم فيه، ومثله في



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



حياتنا اليومية أن يغضب أب على ابنه في فعلة فينهره ويغظ عليه، والابن لا يستطيع مواجهة أبيه بكل طرفه، بل ينظر إليه ببعض طرفه^(١٦١).

وبسبب إرادة هذا المعنى أثر التعبير القرآني (من) على الباء، والله اعلم.

وهذا " تجسيد بارع وتصوير رائع لمن يقف أمام الموت الذي ينتظره، والسيف مُصَلَّتْ على رأسه يرأرأء بأجفانه، ويحركها تحريكاً ضعيفاً خفياً يمكنه من مسارقة النظر، فإن من ينظر إلى أمر مكروه يستهول أمره، ويزوي نظره عنه، بيد أنه لا يتمالك دون أن يرمق ما يكرهه، وما يتوقع حدوثه رمقاً سريعاً^(١٦٢).

ب. إيثار (من) على (في).

مثال ذلك قوله عزت حكيمته: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا... وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: الآيتان ٥ و٨].

نلاحظ أنّ السياق القرآني المعجز أتى بـ(في) مع فعل الرزق أولاً فقال: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾، ثم أثر الحرف (من) معه ثانياً فقال: ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ ولم يجر السياق على نمط واحد.

والآية الأولى هي خطاب للأولياء في أموال اليتامى^(١٦٣)، بدليل قوله تعالى بعد: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: الآية ٦]، فالعلة إذن في استعمال حرف الظرفية (في) في قوله تعالى: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أنهم يجعلون الأموال نفسها ظرفاً للرزق ومكاناً له، وفي ذلك دعوة للأولياء إلى استثمار أموال اليتامى، وأن تكون النفقة عليهم من أرباح المال لا من أصله، أي: "اجعلوها مكاناً لرزقهم، بأن تتجروا فيها وتربحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال، فلا يأكلها الإنفاق"^(١٦٤).

وهذا المعنى هو الذي "يقتضيه جعل الأموال نفسها ظرفاً للرزق والكسوة، ولو قيل (منها) لكان الإنفاق من نفس المال"^(١٦٥)، وذكر أبو حيان أنه "قال (فيها) ولم يقل (منها)، تنبيهاً على ما قاله عليه الصلاة والسلام ((ابتغوا في أموال اليتامى التجارة لا تأكلها الزكاة))، والمستحب أن يكون الإنفاق عليهم من فضلاتها المكتسبة"^(١٦٦). واستشهد أبو حيان على ذلك بقول ابن عباس ؓ: "لا تعدد إلى هلاك الشيء الذي جعله الله لك معيشة، فتعطيه امرأتك أو بنيك ثم تنظر إلى ما في أيديهم، وامسك ذلك وأصلحه، وكن أنت تنفق عليهم في رزقهم وكسوتهم ومؤنتهم"^(١٦٧).

هذه علة المجيء بـ(في) أولاً، أما إيثار السياق القرآني (من) ثانياً في قوله تعالى: ﴿وَأِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ فلأنه أراد معنى (التبعض) أي: ادفعوا لهم بعضاً من أصل مال الميراث، على سبيل الإحسان وتطبيب النفوس^(١٦٨).



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



ومن هنا تظهر حكمة تعدي فعل الرزق بـ(في) أولاً وبـ(من) ثانياً. فوضع كل حرف في المكان اللائق به، والله اعلم.

وأرى أنّ فيما ذكر من أمثلة كفاية، للإدلال على أسرار إيثار حروف الجر بعضها على بعض في لغة التنزيل المعجز.

والخلاصة، أنّ هذا البحث لم يأخذ بمذهب الكوفيين القائلين بتناوب حروف الجر فيما بينها، كما أنه لم يأخذ بمذهب البصريين القائلين بتضمين الفعل معنى فعل آخر ليتسنى تعديته بالحرف الموجود، إذ إنّ الترخّص في الأخذ بمذهب الكوفيين إنما هو عدول عن المعاني الظاهرة المقصودة إلى معانٍ مضمرة غير مقصودة، وذلك سيؤدي إلى ضرب من العجّمة وعدم البيان، وإلى فوضى في التعبير لا حد لها. وأن الأخذ بمذهب البصريين محمول على الحيرة والاضطراب، كما قال بذلك بعض القدماء والمحدثين.

لذا فإنّ هذا البحث يرى أنّ لكل حرف معناه الذي وضع له في اللغة حقيقة، يؤديه من خلال تركيبه مع الفعل وفاقاً لكثير من الباحثين. إذ " إنّ الفعل المعدى بالحروف المتعددة، لا بد أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر، وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف، فإنّ ظهر اختلاف الحرفين ظهر الفرق، نحو: رغبت عنه ورغبت فيه، وعدلت إليه وعدلت عنه، وملت إليه وملت عنه، وسعيت إليه وبه، وإن تفاوت معنى الأدوات عسر الفرق، نحو قصدت إليه وقصدت له وهديته إلى كذا وهديته لكذا"^(١٦٩).

ولا تُدرِك علة هذا الإيثار من أول وهلة، وأنّما بعد طول تأمل ونفاذ في بواطن المسائل، متجاوزاً الظواهر المكشوفة إلى الخفايا المستترة.

وبعد، فهذا جهد المقل، فإن وفقت فذاك ما كنت أبغي، وإنّ كانت الأخرى فهي من نفسي، وحسبي أني بذلت الجهد. وما توفيقى إلا بالله وهو حسبي ونعم الوكيل.:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث



الهوامش

١. البيان والتبيين: ٢٠/١.
٢. ينظر: تناوب حروف الجر في لغة القرآن: ٥.
٣. ينظر: معاني القرآن: للأخفش: ٣١٦/١.
٤. ينظر: الخصائص: ٣٠٦/٢ - ٣٠٨؛ والجنى الداني في حروف المعاني: ٢٤، ٤٦؛ ومغني اللبيب: ١٠٤/١، ١١١؛ ومعاني النحو: ٦/٣ - ٧.
٥. مغني اللبيب: ١١١/١؛ وينظر: الجنى الداني: ٤٦؛ ومعاني النحو: ٦/٣ - ٧.
٦. ينظر: تناوب حروف الجر: ٥.
٧. الإنصاف في مسائل الخلاف: ٤٨١/٢ مسألة (٦٧)؛ وينظر: تناوب حروف الجر: ٤٩.
٨. معاني القرآن وإعرابه: للزجاج: ٤١٦/١؛ وينظر: روح المعاني: ١٧٥/٣.
٩. الكشاف: ٥٠٢/٣. [هكذا عبر الزمخشري عن ذلك بقوله: (فإن قلت) مع العلم أن هذا القول هو كلام الله ﷻ].
١٠. الخصائص: ٣٠٦/٢ - ٣٠٨؛ وينظر تفصيل القول في التضمنين: الاشباه والنظائر في النحو: ١٣٣/١ - ١٣٨؛ وبحث الأستاذ حسين والي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، منشور ضمن كتاب: النحو الوافي: ٢/٤٣٦ - ٤٥٢؛ وفقه اللغة المقارن: ٢٠٧ - ٢١٩؛ وتناوب حروف الجر: ٤٩ - ٨٢.
١١. بدائع الفوائد: ٢١/٢.
١٢. الكليات: ٥٠.
١٣. حاشية السيد الشريف الجرجاني على تفسير الكشاف: ٩٧/١.
١٤. النحو الوافي: ٢/٤٣٧.
١٥. الكشاف: ٧١٧/٢؛ وينظر: شرح المفصل: ١٥/٨؛ ومعاني النحو: ١٣/٣، ١٤.
١٦. شرح المفصل: ١٥/٨.
١٧. فقه اللغة المقارن: ٢١٥؛ وينظر: تناوب حروف الجر: ٦٥.
١٨. ينظر: تناوب حروف الجر: ١٧.
١٩. المعجم الوسيط: (خرج): ٢٢٤.
٢٠. من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم: ١٧.
٢١. الصحاح: (رغب): ١٣٧/١.
٢٢. المعجم الوسيط: (رغب): ٣٥٦.
٢٣. ينظر: الجنى الداني: ٢٥٠؛ ومغني اللبيب: ١٦٨/١.
٢٤. الجنى الداني: ٢٤٥؛ ومغني اللبيب: ١٤٧/١.
٢٥. معاني النحو: ٩/١.
٢٦. ينظر: الكشاف: ٥٠٦/٢؛ والتبيان في إعراب القرآن: ٧٤٦/٢؛ والجنى الداني: ٤٥؛ ومغني اللبيب: ١٠٦/١؛ وروح المعاني: ١٣/٥٩؛ ومعاني النحو: ٣/٢٥.
٢٧. ينظر: الجنى الداني: ٤٥؛ ومغني اللبيب: ١٠٦/١؛ وروح المعاني: ١٣/٥٩؛ وتناوب حروف الجر: ٨٨.



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



٢٨. الكتاب: ٢١٧/٤؛ وينظر: الجنى الداني: ٣٦؛ ومغني اللبيب: ١٠١/١.
٢٩. الكشف: ٥٠٦ / ٢.
٣٠. البحر المحيط: ٣٤٢/٥.
٣١. روح المعاني: ٥٩ / ١٣.
٣٢. البرهان في علوم القرآن: ١٠٩/٤.
٣٣. معاني النحو: ٢٥ - ٢٦ / ٣.
٣٤. ينظر: الكتاب: ٢٢٦ / ٤؛ والمقتضب: ١٣٩/٤؛ والجنى الداني: ٢٥٠؛ ومغني اللبيب: ١٦٨ / ١.
٣٥. ينظر: من أسرار حروف الجر: ٦٩؛ وينظر: الأعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم: ١٣٩.
٣٦. الكشف: ١١٣/٢؛ وينظر: الانتصاف من الكشف: ١١٣/٢.
٣٧. روح المعاني: ١٥١ - ١٥٠ / ٨.
٣٨. الكشف: ١١٦ - ١١٧ / ٢.
٣٩. ينظر: الجنى الداني: ٤٣؛ ومغني اللبيب: ١٠٥ / ١؛ وشرح التصريح على التوضيح: ١٣/٢.
٤٠. ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٥٧٥؛ والبحر المحيط: ٣٨٧ / ٨؛ والبرهان في علوم القرآن: ١٥٤ / ٤؛ وروح المعاني: ١٩٥ / ٢٩.
٤١. معاني القرآن: للفراء: ٢١٥ / ٣.
٤٢. البحر المحيط: ٣٨٧/٨؛ وروح المعاني: ١٩٥ / ٢٩؛ وينظر: معجم القراءات القرآنية: ٢١/٨.
٤٣. بدائع الفوائد: ٢١/٢؛ وينظر: البحر المحيط: ٣٨٧ / ٨.
٤٤. ينظر: الأعجاز البياني في العدول النحوي: ١٤٧.
٤٥. البرهان في علوم القرآن: ٢١١ / ٣.
٤٦. معاني النحو: ٢٥ / ٣؛ وينظر: التعبير القرآني: ١٩٠.
٤٧. ينظر: الإعجاز البياني في العدول النحوي: ١٤٩.
٤٨. ينظر: الكشف: ٦٦٨/٤؛ والبحر المحيط: ٣٨٨ / ٨؛ وروح المعاني: ١٩٥ / ٢٩.
٤٩. الكشف: ٦٦٨ / ٤.
٥٠. التعبير القرآني: ١٩٠ - ١٩١.
٥١. ينظر: الأعجاز البياني في العدول النحوي: ١٤٩.
٥٢. ينظر: في ظلال القرآن: ٣٩٧/٨.
٥٣. ينظر: الجنى الداني: ٣٨٥؛ ومغني اللبيب: ٧٤/١.
٥٤. ينظر: الجنى الداني: ٤٧٦؛ ومغني اللبيب: ١٤٣ / ١.
٥٥. لسان العرب: (روغ): ٣٩٣/٥.
٥٦. معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٢٣٣.
٥٧. من أسرار حروف الجر: ٢٤١؛ وينظر: الإعجاز البياني في العدول النحوي: ١٥٤.
٥٨. الكتاب: ٢٣٠ / ٤؛ وينظر: المقتضب: ٤٦/١؛ وشرح المفصل: ٣٧/٨.
٥٩. المعجم الوسيط (غدا): ٦٤٦.



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



٦٠. الكشف: ٥٩٠ / ٤.
٦١. البحر المحيط: ٣٠٦ / ٨.
٦٢. القاموس المحيط: (غدوة): ٣٦٩ / ٤.
٦٣. روح المعاني: ٣٧ / ٢٩.
٦٤. درة التنزيل وغرة التأويل: ٤، ٣، ٣٥.
٦٥. لسان العرب (أخذ): ٨٤٦ / ٢؛ وينظر: البحر المحيط: ٤٧٩ / ٥.
٦٦. معاني القرآن وإعرابه: للزجاج: ٢٠١ / ٣؛ وإعراب القرآن: للنحاس: ٣٩٧ / ٢.
٦٧. معجم مفردات ألفاظ القرآن: ١٨٠.
٦٨. ينظر: معاني القرآن وإعرابه: للزجاج: ٢٠١ / ٣؛ والكشاف: ٦٠٨ / ٢.
٦٩. روح المعاني: ١٥٣ - ١٥٢ / ١٤.
٧٠. من أسرار حروف الجر: ٦٩.
٧١. م.ن.؛ وينظر: الأعجاز البياني في العدول النحوي: ١٣٨.
٧٢. ينظر: الجنى الداني: ٩٦؛ ومغني اللبيب: ٢٠٨ / ١.
٧٣. الخصائص: ٢٧٠ / ٢ - ٢٧١؛ وينظر: لسان العرب (علا): ٥٣٢ / ٨؛ والمقتضب: ٤٦ / ١، ٥١.
٧٤. الكشف: ٣٣٢ / ١.
٧٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٩٣ / ١.
٧٦. روح المعاني: ٦٩ / ٣.
٧٧. أمالي المرتضى: ٣٥٢ / ١؛ وينظر: نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغياً: ١٦٦.
٧٨. ينظر: مفتاح العلوم: ٢٠٠؛ والأيضاح في علوم البلاغة: ١٩٢؛ وفتح منزل المباني بشرح أقصى الأمانى في البيان والبدیع والمعاني: ٦٣؛ ومعتك الأقران في إعجاز القرآن: ٣١٤ / ١؛ وجواهر البلاغة: ٣٦٦.
٧٩. الكشف: ٣٣٢ / ١.
٨٠. المحرر الوجيز: ٣٩٣ / ١.
٨١. البحر المحيط: ٣٨٢ / ٢.
٨٢. الخصائص: ٢٦٤ / ٣ - ٢٦٥؛ وينظر: لسان العرب (كسب): ٦٥٦ - ٦٥٧ / ١.
٨٣. البرهان في علوم القرآن: ٤٣ / ٣.
٨٤. الصحاح (كسب): ٢١٢ / ١؛ وينظر: مختار الصحاح (كسب): ٥٧٠.
٨٥. البحر المحيط: ٣٨١ - ٣٨٢ / ٢.
٨٦. ينظر: الكتاب: ٧٤ / ٤.
٨٧. معاني الأبنية في العربية: ٧.
٨٨. روح المعاني: ٨٧ / ٣٠، ٨٨.
٨٩. ينظر: معاني القرآن: للفراء: ٢٤٦ / ٣؛ وتأويل مشكل القرآن: ٣٧٩؛ ومعاني القرآن وإعرابه: للزجاج: ٢٩٧ / ٥؛ ومغني اللبيب: ١٤٤ / ١؛ ولسان العرب (كيل): ٦٧٤ / ٦.
٩٠. ينظر: لسان العرب (كيل): ٦٧٤ / ٦.
٩١. روح المعاني: ٨٧ / ٣٠؛ وينظر: شرح الدماميني على مغني اللبيب: ٢٨٩ / ١.



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



٩٢. الكشاف: ٧١٩ / ٤؛ وينظر: روح المعاني: ٣٠ / ٨٧.
٩٣. الكشاف: ٧١٩ / ٤.
٩٤. معاني النحو: ٥٠ / ٣.
٩٥. ينظر: المقتضب: ٦/١؛ وشرح المفصل: ٣٧ / ٨؛ وشرح الرضي على الكافية: ٣٧٩ / ٢.
٩٦. ينظر: مغني اللبيب: ١ / ١٤٧؛ ومعاني النحو: ٥٣ / ٣.
٩٧. شرح التصريح على التوضيح: ١٥ / ٢.
٩٨. الكشاف: ٤ / ٣٣٠؛ والبحر المحيط: ٨ / ٨٥؛ وروح المعاني: ٢٦ / ٨٢.
٩٩. ينظر: الصحاح (بخل): ٤ / ١٦٣٢؛ ومختار الصحاح (بخل): ٤٢.
١٠٠. ينظر: الكشاف: ٤ / ٣٣٠؛ والبحر المحيط: ٨ / ٨٥؛ وروح المعاني: ٢٦ / ٨٢.
١٠١. روح المعاني: ٢٦ / ٨٢.
١٠٢. معاني النحو: ٥٣ / ٣.
١٠٣. ينظر: الجنى الداني: ٢٤٥؛ ومغني اللبيب: ١ / ١٤٧.
١٠٤. الكتاب: ٤ / ٢٢٦ - ٢٢٧؛ وينظر: الجنى الداني: ٢٤٥؛ ومغني اللبيب: ١ / ١٤٧.
١٠٥. ينظر: الكتاب: ٤ / ٢٢٤؛ والجنى الداني: ٣٠٨؛ ومغني اللبيب: ١ / ٣١٨.
١٠٦. من أسرار حروف الجر: ٣٢٢.
١٠٧. الكشاف: ٩٣ / ٢؛ وينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٣ / ٢٤٣.
١٠٨. البحر المحيط: ٤ / ٢٧٧ - ٢٧٨.
١٠٩. التفسير الكبير: ٤ / ٤٢؛ وينظر: علل التعبير القرآني عند الرازي في التفسير الكبير: ٨٠.
١١٠. الكشاف: ٩٣ / ٢.
١١١. ينظر: الأعجاز البياني في العدول النحوي: ١٤٥.
١١٢. ينظر: مجاز القرآن: ١٦٩؛ وحروف المعاني: للزجاجي: ١٢؛ والبحر المحيط: ٦ / ٢٤٢؛ والجنى الداني: ٢٥٠؛ ومغني اللبيب: ١ / ١٦٨؛ وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣ / ٣٩.
١١٣. ديوان عنتر بن شداد: ٢١٢؛ وشرح المعلقات السبع: للزوزني: ١٢٦؛ وينظر: الخصائص: ٢ / ٣١٢؛ والبحر المحيط: ٦ / ٢٤٢؛ ومغني اللبيب: ١ / ١٦٩.
١١٤. مختار الصحاح (سرح): ١ / ٣٧٤.
١١٥. ينظر: الخصائص: ٢ / ٣١٣؛ ومغني اللبيب: ٢ / ١٦٨؛ وشرح شواهد المغني: ١ / ٤٧٩.
١١٦. معاني القرآن للفراء: ٢ / ١٨٦ - ١٨٧.
١١٧. البرهان في علوم القرآن: ٤ / ١٠٩ - ١١٠.
١١٨. شرح المفصل: ٨ / ٢١؛ وينظر: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: ٢ / ٢٦٧.
١١٩. ينظر: الكتاب: ٤ / ٢٢٦؛ والمقتضب: ١ / ٤٥؛ والخصائص: ٢ / ٣١٣.
١٢٠. ينظر: الكشاف: ٣ / ٧٦؛ وشرح المفصل: ٨ / ٢٠؛ والبحر المحيط: ٦ / ٢٤٢؛ ومغني اللبيب: ١ / ١١١؛ والبرهان في علوم القرآن: ٤ / ١٨٢.
١٢١. روح المعاني: ١٦ / ٢٣١؛ وينظر: معاني النحو: ٣ / ٧.
١٢٢. البحر المحيط: ٦ / ٢٤٢ - ٢٤٣؛ وينظر: تناوب حروف الجر: ٣٨.



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



١٢٣. الكشاف: ٥٨٢/٣؛ وينظر: البحر المحيط: ٢٦٨/٧؛ والبرهان في علوم القرآن: ١٠٩/٤؛ وروح المعاني: ٢٢/١٤٠.
١٢٤. التفسير القيم: ١٥-١٦.
١٢٥. ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٠٩/٤؛ وروح المعاني: ١٤٠/٢٢؛ والأعجاز البياني في العدول النحوي: ١٣٧.
١٢٦. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٦٧/٤؛ والجنى الداني: ٩٦؛ ومغني اللبيب: ٢٠٨/١.
١٢٧. الكشاف: ٢٨٣/٢؛ وينظر: روح المعاني: ١٢٤/١٠.
١٢٨. ينظر ما قيل في اللام هنا: التوجيه النحوي في كتب أحكام القرآن: ١٤٤-١٤٧.
١٢٩. الانتصاف من الكشاف: ٢٨٣/٢.
١٣٠. ينظر: التفسير الكبير: ١١٥/١٦.
١٣١. أسرار التكرار في القرآن: ١٢٩؛ وينظر: البحر المحيط: ٤/٣٦٥.
١٣٢. معاني القرآن وإعرابه: للزجاج: ٢/٤٥٧.
١٣٣. البحر المحيط: ٥/٦٤.
١٣٤. لسان العرب (أمن): ٦٢٣/٧.
١٣٥. التبيان في إعراب القرآن: ٢/٦٤٨.
١٣٦. ينظر: معجم مقاييس اللغة (أمن): ١/١٣٤.
١٣٧. البحر المحيط: ٥/٦٥.
١٣٨. معجم مقاييس اللغة (أمن): ١/١٣٣.
١٣٩. تفسير: التحرير والتنوير: ١/٥٦٧.
١٤٠. روح المعاني: ١/٦٩٨.
١٤١. تفسير المنار: ١٠/٥١٩.
١٤٢. الكشاف: ٢/٢٨٥.
١٤٣. من أسرار حروف الجر: ٢١١.
١٤٤. أسرار التكرار في القرآن: ١٢٩.
١٤٥. ملاك التأويل: ١/٥٧٠.
١٤٦. درة التنزيل وغرة التأويل: ١٧٦-١٧٧.
١٤٧. ينظر فضلاً عما سبق: البحر المحيط: ٤/٣٦٥؛ والدر المصون: ٣/٣٢٤؛ وروح المعاني: ٩/٢٧.
١٤٨. ملاك التأويل: ١/٥٧٢.
١٤٩. ينظر: من أسرار حروف الجر: ٢١١؛ والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٤٥؛ ونظرية الحروف العاملة: ١٧٧.
١٥٠. الكشاف: ٣/٤٦٤؛ وينظر: الإعجاز البياني في العدول النحوي: ١٦٠.
١٥١. ينظر: مغني اللبيب: ١/٣٢١؛ والدر المصون: ٦/٨٧؛ وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ٢/٢٨٨.
١٥٢. الجنى الداني: ٣١٤.
١٥٣. ينظر: حاشية العليمي على شرح التصريح: ٢/١٢.



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



١٥٤. الدر المصون: ٨٧ / ٦.
١٥٥. مغني اللبيب: ٣٢١ / ١.
١٥٦. ينظر: معاني القرآن: للفراء: ٢٦ / ٣؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤ / ٤٠٢.
١٥٧. الكشاف: ٢٣١ / ٤؛ والبحر المحيط: ٥٠١ / ٧.
١٥٨. ينظر: البحر المحيط: ٥٠١ / ٧.
١٥٩. الكشاف: ٢٣١ / ٤؛ وينظر: معاني القرآن: للفراء: ٢٦ / ٣؛ وإعراب القرآن: للنحاس: ٩١ / ٤؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤ / ٤٠٢؛ وروح المعاني: ٥١ / ٢٥.
١٦٠. البحر المحيط: ٥٠١ / ٧.
١٦١. معاني النحو: ٧٨ / ٣.
١٦٢. إعراب القرآن وبيانه: ٥٠ / ٧؛ وينظر: في ظلال القرآن: ٣٠٣ / ٧.
١٦٣. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢١ / ٣.
١٦٤. الكشاف: ٤٢٧ / ١.
١٦٥. روح المعاني: ٢٠٣ / ٤.
١٦٦. البحر المحيط: ١٧٨ / ٣.
١٦٧. البحر المحيط: ١٧٨ / ٣؛ وينظر: روح المعاني: ٢٠٣ / ٤.
١٦٨. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٥ / ٣؛ وروح المعاني: ٢١٢ / ٤.
١٦٩. بدائع الفوائد: ٢١ / ٢.



المصادر والمراجع

١. أسرار التكرار في القرآن المسمى: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان: محمود ابن حمزة الكرمانى، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة للنشر، القاهرة، ١٩٧٧م.
٢. الاشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطى، مراجعة وتقديم: د. فايز ترحينى، دار الكتاب العربى، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
٣. الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم: (أطروحة دكتوراه): د. عبد الله علي الهتاري، جامعة اليرموك، الأردن، (د.ت).
٤. إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، بيروت، ط٩، ٢٠٠٣م.
٥. إعراب القرآن: أبو جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.
٦. الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: البطلوسى، تحقيق: مصطفى السقا ود. حامد عبد المجيد، منشورات دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط٢، ١٩٩٠م.
٧. أمالي المرتضى (غرر الفرائد ودرر القلائد): الشريف المرتضى، تحقيق: محمد أبي الفضل، دار إحياء الكتب، بيروت، ١٩٥٤م.
٨. الانتصاف من الكشاف: أحمد بن المنير الأسكندري، مطبوع على هامش تفسير الكشاف.
٩. الإنصاف في مسائل الخلاف: أبو البركات الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، ١٩٦١م.
١٠. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.



١١. الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، منشورات مكتبة النهضة، بغداد.
١٢. بحث الأستاذ حسين والي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، منشور ضمن كتاب: النحو الوافي: عباس حسن، مكتبة المحمدي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
١٣. بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٧م.
١٤. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تقديم وتعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
١٥. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: د. محمد حسين أبو موسى، دار الفكر العربي، بيروت.
١٦. البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٧٤م.
١٧. تأويل مشكل القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، شرح وتعليق: السيد أحمد صقر، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٩٧٣م.
١٨. التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.
١٩. التعبير القرآني: د. فاضل السامرائي، مطابع دار الكتب، الموصل، العراق، ١٩٨٨م.
٢٠. تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.
٢١. تفسير التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٢٢. تفسير الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.
٢٣. التفسير القيم: ابن قيم الجوزية، جمعه: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



٢٤. التفسير الكبير: فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، طهران.
٢٥. تفسير الكشاف: الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦م.
٢٦. تفسير المنار: رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت.
٢٧. تفسير روح المعاني: شهاب الدين الآلوسي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م.
٢٨. تناوب حروف الجر في لغة القرآن: د. محمد حسن عواد، دار الفرقان، الأردن، ط١، ١٩٨٢م.
٢٩. التوجيه النحوي في كتب أحكام القرآن: حيدر التميمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
٣٠. الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
٣١. جواهر البلاغة: السيد أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، (د.ت.).
٣٢. حاشية السيد الشريف الجرجاني على تفسير الكشاف، طبعت مع الكشاف، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٤٨م.
٣٣. حاشية العليمي على شرح التصريح: ياسين العليمي، مطبعة البابي الحلبي، مصر.
٣٤. حروف المعاني: أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
٣٥. الخصائص: ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط٢، (د.ت.).
٣٦. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي، تحقيق: علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
٣٧. درة التنزيل وغرة التأويل: الخطيب الأسكافي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٧٣م.



إيثار حروف الجر بعضها على بعض



٣٨. ديوان عنتر بن شداد، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
٣٩. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: الأشموني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٥٥م.
٤٠. شرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهرى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.
٤١. شرح الدماميني على مغني اللبيب، مطبوع على هامش حاشية الشمني على المغني، المطبعة البهية، مصر.
٤٢. شرح الرضي على الكافية في النحو: الرضي الأسترابادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
٤٣. شرح المعلقات السبع: الزوزني، مكتبة النقاء، بغداد.
٤٤. شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت.
٤٥. شرح شواهد المغني: جلال الدين السيوطي، تصحيح: محمد محمود الشنقيطي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
٤٦. الصحاح: الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٤م.
٤٧. علل التعبير القرآني عند الرازي في التفسير الكبير (أطروحة دكتوراه)، د. أحمد جمعة الهيتي، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٩م.
٤٨. فتح منزل المباني بشرح أقصى الأمانى في البيان والبدیع والمعاني: أبو يحيى زكريا الأنصاري، مطبعة الجمالية، مصر، ١٩١٤.
٤٩. فقه اللغة المقارن: د. إبراهيم السامرائي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.
٥٠. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٧، ١٩٧١م.
٥١. القاموس المحيط: مجد الدين محمد الفيروز آبادي، مؤسسة الحلبي للنشر، مصر.



٥٢. الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، ١٩٧٥م.
٥٣. الكليات - معجم المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء الكفوي: تحقيق: د. عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٧٦م.
٥٤. لسان العرب: ابن منظور، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
٥٥. مجاز القرآن: أبو عبيدة، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
٥٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي، فاس، المغرب، ١٩٧٥م.
٥٧. مختار الصحاح: أبو بكر الرازي، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣م.
٥٨. معاني الأبنية في العربية: د. فاضل السامرائي، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٨١م.
٥٩. معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
٦٠. معاني القرآن: الأخفش، تحقيق: د. عبد الأمير الورد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
٦١. معاني القرآن: الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.
٦٢. معاني النحو: د. فاضل السامرائي، دار الحكمة للطباعة، الموصل، العراق، ١٩٩١م.
٦٣. معترك الأقران في إعجاز القرآن: أبو بكر السيوطي، ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
٦٤. معجم القراءات القرآنية: د. عبد العال سالم مكرم ود. أحمد مختار عمر، مطبوعات جامعة الكويت، ط٢، ١٩٨٨م.



٦٥. المعجم الوسيط: قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.
٦٦. معجم مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٨ م.
٦٧. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، قم، إيران.
٦٨. مغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧ م.
٦٩. مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف السكاكي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ١، ١٩٣٧ م.
٧٠. المقتضب: المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت.
٧١. ملك التأويل القاطع بذوي الأحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل: ابن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٣ م.
٧٢. من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم: د. محمد أمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٩ م.
٧٣. نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعتها استعمالها القرآني بلاغياً: الدكتور هادي عطية مطر الهلالي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٨٦ م.